

المقياس: فلسفة التاريخ

المستوى: الثانية فلسفة / ليسانس

الدكتور: و/ حيدوسي

المحاضرة 3: القديس أوغسطين (354-430م)

القديس أوغسطين أي الملك الصغير (13 نوفمبر 354م-430م)، كاتب وفيلسوف ورجل مسيحي من أصل نوميدي أمازيغي -أمه أمازيغية مسيحية وأبوه وثني، ولد في تاغست (سوق أهراس حاليا) ، وكانت آنذاك مدينة تابعة لإحدى مقاطعات روما وهي "نوميديا"، انتقل من المسيحية ، إلى الديانة المانوية ثم إلى الأفلاطونية المحدثة ، وسنة 386م قرر العودة مجددا إلى المسيحية ، بعد قراءته سيرة القديس أنطونيوس الكبير .

بعد عودته من ميلانو إلى تاغست أسس ديرا ، وفي 391م تم تسميته كاهنا في إقليم هيبو (عنابة حاليا) ، وأصبح واعظا شهيرا ، ومن أكبر محاربي المانوية ، ثم عين أسقفا في هيبو إلى أن مات عام 430م ، يلقب بابن الدموع ، نظرا ونسبة إلى دموع أمه لمدة عشرين سنة، رغبة منها خلال صلاتها لرجوعه من المانوية إلى المسيحية .

أهم مؤلفاته : مدينة الله ، الاعترافات ، في الثالوث ، في العقيدة المسيحية .

هو من آباء الكنيسة و له دور فاعل في الفكر المسيحي ، وهو محسوب على الفلاسفة و له رأي هام في تفسير التاريخ المسيحي خاصة وأنه غلب العقيدة المسيحية على الفلسفة في كثير من القضايا التي تناولها ، فكيف نظر إلى التاريخ ؟

3/التفسير المسيحي للتاريخ عند القديس أوغسطين :

لقد ساد في عصر أوغسطين اضطراب سياسي داخلي و خارجي كما اجتمعت جملة من العوامل التي جعلته يتناول التاريخ بالاهتمام ويفسره وربما من أبرز تلك العوامل حالة التدهور والانحلال في الإمبراطورية الرومانية و تعرضها للغزو و الحروب ، فأشيع أن ذلك التدهور مرده انتشار المسيحية و انتصارها على الوثنية مما انعكس سلبا على قوة الدولة ، فساد العنف و الظلم و القهر و التنازع على الملك، وكان ذلك سببا فيما حل من لعنات على روما

—خاصة سقوطها كعقاب إلهي—كانت تلك عوامل دفعت بأوغسطين إلى محاولة الدفاع عن المسيحية كديانة سماوية قائمة على الأخلاق و الرحمة و المحبة في وجه الوثنيين الذين رأوا أن ما حل بروما هو نتيجة التخلي عن الوثنية. **وينطلق** القديس أوغسطين في فهمه للتاريخ من مسلمة دينية تقول أن الله كلي القدرة والمعرفة ، وهو غير خاضع لأي نوع من أنواع الضرورات ، فقد خلق الطبيعة ، ويستطيع إذا أراد أن يغيرها وهو سبحانه على علم بما كان وبما سيكون ، وباختصار فإن الله يقرر مستقبل التاريخ. **وهكذا** فإن التاريخ كما يفهمه القديس أوغسطين يدور حول كل من الحادث (وهو المخلوق) ، والأبدي وهو الله ، فالله أبدي ، وهو خالق الزمان ، ولا يجوز فهم الأبدي ، ولا وصفه من وجهة نظر الحادث ، ومع ذلك ، فإن الله في إطار التاريخ البشري هو العناية بشئون التاريخ الأرضي ، وليس في الإمكان مطلقا الاعتقاد بأنه ترك ممالك البشر خارج قوانين العناية ، ولذلك فإن العالم عند أوغسطين انسجام تام ، فهو منتظم متناسب الأجزاء ، لأنه يقوم على قواعد من القياس والعدد والصورة ، وهذا النظام المتمثل في العالم يدل على أن الله يرتب الأشياء حسب الغاية التي ينشدها . وانسجاما مع ما تقدم ، فإن أوغسطين يرفض وجود الصدفة في أحداث التاريخ لأن كل شيء مقدر من قبل العناية الإلهية ، كما أن الإرادة الإلهية لا تقيد قوانين الضرورة في الحياة ، وهكذا فإن سير التاريخ الأرضي يكون مسيرا ومحكوما من الله ، و على حد تعبير أوغسطين فإن التاريخ **مسرحية** كتبها الله ويمثلها الإنسان .

04/مدينة الله ومدينة الشيطان :

بعد خلق ادم في الجنة ثم خلق حواء من أحد ضلوعه تأكيدا على مفهوم الوحدة ، فلما أخطأ آدم أصبح يرمز لوحدة الانسانية الاصلية ولازدواجها الى عالمين أو كيانين أو مدينتين هما مدينة الله التي يسيطر عليها ويتحكم فيها حب الله ، ومدينة الارض او الشر التي يسيطر عليها ويتحكم فيها حب الدنيا ، ذلك الحب الذي أفسد ارادة آدم الطيبة التي فطره الله عليها فلحقت به الازدواجية ، وتجلت هذه الازدواجية بشكل واضح على أثر قتل قابيل لهابيل ، إذ أصبح هناك شخصان متمايزان يمثل كل منهما إحدى المدينتين بعد إن كانت الازدواجية حبيسة في آدم أبو الإنسانية .

واتساقا مع المنظور المذكورة آنفا فقد رأى أوغسطين وجود نمطين من أنماط الحياة في التاريخ ، يتألف النمط الأول من أولئك الذين يتوقون إلى الحياة وفقا للجسد وهم الذين أطلق عليهم تسمية أصحاب المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان ، ويتألف النمط الثاني من أولئك الذي يتوقون إلى الحياة وفقا للروح وهم الذين اسماهم بأصحاب المدينة السماوية أو مدينة الله ، ويتميز أصحاب المدينة الأرضية بأنهم يتبعون أهوائهم ويكثر بينهم الظلم والخصام، أما أصحاب الله فالعلاقة بينهم تقوم إلى محبة الله والخير والتعاون.

وقد لاحظ أوغسطين أن هاتين المدينتين أو هذين النمطين من أنماط الحياة لم يكونا متميزين من بعضهما في الحقبة الممتدة من آدم عليه السلام حتى عهد النبي إبراهيم عليه السلام, ثم تميزت مدينة الله من مدينة الشيطان اثر ظهور بني إسرائيل في التاريخ و اختصاصهم بالمدينة الإلهية بالنظر لظهور الأنبياء بينهم، أما بقية الحضارات الإنسانية فقد استمرت تعيش في نمط المدينة الأرضية المحرومة من الهداية الإلهية.

ولكن مع هذا الانفصال و التباين بين المدينتين, فإنهما كانا يتقدمان معا و يمهدان لظهور السيد المسيح، حيث مهد بنو إسرائيل له روحيا و مهدت له الحضارات القديمة سياسيا وفقا لتدبير العناية الإلهية، و لقد انتهى التمايز بظهور المسيح, ومن ثم يجب ان تتم الوحدة بين الجانب الروحي ممثلا في الكنيسة والجانب السياسي ممثلا في الدولة، و لما كانت الأخيرة تسعى إلى الخيرات الدنيوية بينما تجعلها الكنيسة وسيلة لغاية روحية أسمى فإنه يجب ان تخضع الدولة للكنيسة. وقد انتهى أوغسطين من خلال تفسيره الديني للتاريخ إلى أن السلطة النهائية في قيادة المجتمع في المجالين الديني و السياسي ينبغي أن توضع في يد الكنيسة، لذا فلا عجب أن غدا تفسيره للتاريخ هو التفسير الرسمي للكنيسة على مدى أكثر من ألف سنة، و لم يتعرض هذا التفسير للنقد و المراجعة إلا مع بدايات عصر النهضة في أوروبا.

05/مسار التاريخ لدى أوغسطين :

وانطلاقا من مفهوم العناية الإلهية فإن أوغسطين يرفض رأي القائلين بوجود تعاقب دوري في التاريخ ، ويرى أن أحداث التاريخ تسير بخط مستقيم ابتداء من

خلق آدم (بداية التاريخ) وانتهاء بيوم القيامة (حيث تكون نهاية التاريخ) ، هو
يؤشر في هذه المسيرة سبع حقبة رئيسية ، كان لكل واحدة منها خصوصيتها ،
وهي لن تكرر ، و جاء تفسير أوغسطين للتاريخ ممتزجا ببعيدته الدينية فرأى أنه
مر بمراحل كما يلي :

المرحلة الأولى : تمتد من آدم إلى الطوفان زمن نوح عليه السلام .

المرحلة الثانية : من طوفان نوح إلى ظهور سيدنا إبراهيم عليه السلام .

المرحلة الثالثة : من عصر إبراهيم عليه السلام إلى عصر

داود عليه السلام .

المرحلة الرابعة : من عصر داود عليه السلام إلى عصر الأسر البابلي .

المرحلة الخامسة : من الأسر البابلي إلى ميلاد المسيح عليه السلام .

المرحلة السادسة : العصر الحاضر والفترة المعاصرة التي تستمر إلى يوم
القيامة.

المرحلة السابعة : العصر الذي سوف يستريح فيه الله كما حدث في خلق الكون
في عدد ستة أيام ومن بعد استراح في اليوم السابع .